مُناقشات

اضواء على القومية العربية(*)

بقلم يوسف الثموي

اختلف الفلاسفة والكتاب في موضوع القومية وذهبوا في شرحها وفلسفتها مذاهب مختلفة ، اتفق بعضها واختلف البعض الآخر الى حد التناقض. ويرجع ذلك الى ان ظهور طبقة فلاسفة القومية عند شعب من الشعوب كان دائماً مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالحركات التحررية لدى هذا الشعب. ولذا فهم بحكم مستلزمات المرحلة التي يتخطاها شعبهم ونوعية مشاكلها السياسية المعلقة تجدهم اميل الى ايجاد فلسفة للقومية تتجاوب مع نضال شعبهم في معركته التحررية .

ورغم الخلافات العديدة التي نشأت في موضوع القومية سيما بين الفلاسفة الالمان والفرنسيين ، فان شيئاً واحداً اتفق عليه الجميع هو ان القومية حقيقة حية تكمن في ذات الفرد وتتجسد فيه على صورة احاسيس ومشاعر تتبلور ويتضح طابعها اثناء مرحلة نمو وعيه الإجتماعي . وهذه الحقيقة تعتبر العامل الرئيسي والمحرك لطاقة الفرد النضالية ولتفانيه في سبيل المجموع . وهي ظاهرة من مظاهر المجتمع الإنساني تفرضها طبيعة توزيع الناس في وحدات اجتماعية يفصلها عن بعض خطوط عريضة بينة وفوارق اساسية حتمية ينتج عنها تبويب علاقات الفرد مع بقية افراد المجتمع الإنساني وجعلها على مستويات مختلفة

ويتضح من هذا بان الشعور القومي ليس شيئاً مستحدثاً في حياة الناس كما ان الدعوة الى القومية ليست في الأصل دعوة الى نظرية فلسفية وضعت نتيجة لدراسات من نوع ما ، وان تكن في ظاهرها تتخذ شكل النظرية فهي دعوة للتعمق في فهم حقيقة المجتمع الإنساني ودراسته دراسة موجهة تتناسب ومصلحة المجموع

ومنشأ الخلاف في موضوع القومية كان على ما يبدو نتيجة لخطأ الكثيرين في تفسير كلمة المجموع ، واعتقادهم بان المقصود بالمجموع هو الأمة كوحدة اجتماعية مستقلة استقلالا كلياً من ناحية المصلحة والمصير ، دون ان يكون لها علاقة بالمجموعة الإنسانية. وبهذا انتحوا بالقومية منحى سلبياً صرفاً مقتصراً على المنفعة الذاتية للأمة دون ان يراعى فيها الجانب الإنساني . كما ان بعضهم خلط بينها وبين مفاهيم اخرى رسوبية ، فتبلورت القومية عندهم تبلوراً عصبياً ادى ببعض الناس لمحاربتها لاعتقادهم بانها لايمكن ان تكون الا عدائية ، ولايمكن إن يكون هناك وجود للقومية الإنسانية .

ولقد اتضح الاتجاه الأخير في ألمانيا ولا سيما في عهد النازية حيث تبلورت فكرة السلالة والتباين العرقي وامتزجت بالدعوة القومية امتزاجاً خطيراً أدى إلى إساءة الظن بالقومية كما أسلفنا .

ومن العوامل الأساسية التي أدت إلى إظهار القومية بمظهر سلبي أن الفترة التي نشطت فيها أقلام كتاب الغرب في هذا الموضوع رافقت النهضة الصناعية ومرحلة تمركز النظام الرأسمالي ، ولذا فجميع الدعوات القومية كانت الى أمد قصير جداً ذات محتوى رأسمالي ، الأمر الذي أدى إلى انعكاس مساوئ هذا النظام في هذه الدعوات .

ويمكننا القول على ضوء هذه المقدمة بأن القومية في جوهرها شعور عفوي يمكن أن يكون سبباً قوياً في خلق طاقة نضالية عند الشعوب . ولتحقيق هذا الغرض يجب تنقية هذا الشعور وبلورته . ولذا فالدعوة القومية ما هي إلا عملية تشكيل وتنقية الشعور القومي والانتقال به من مرحلة العفوية إلى مرحلة الوعي والنضوج ليصبح شيئاً نافعاً . من هنا يتضح بأن مسؤولية المساوئ التي رافقت بعض الحركات القومية لا ترجع إلى القومية كجوهر ، وإنما إلى الأداة القيمة والموجهة لهذا الشعور ، ولفساد الحركات والأنظمة التي حاولوا تسخير الشعور القومي وتوجيهه في صالحها .

لذا فالقول بأن القومية عدائية لا تتلاءم والدعوة إلى السلم ، وما إلى ذلك من ادعاءات ، ما هو إلا نوع من التجني والتحامل سببه جهل ماهية القومية

ومنطق الاتجاه الحديث للقومية كما أخذ يتبلور في الهند وأندونيسيا والوطن العربي بشكل خاص ، يبشر بدخول المفهوم القومي في مرحلة جديدة من الوعي ، وبامكان قيام القومية الإنسانية التي لا تتعارض والدعوة للسلم .

فالاتجاه الحديث للقومية العربية يرى أنها تغلق وحب بعيد عن التعصب أو النزوع نزعة عرقية ، متجاوب مع القيم الإنسانية عند الأفراد كما أنها حلقة من حلقات اتصال الوجدان العربي بالمجموعة الإنسانية .

من خلال هذا المفهوم تعتبر الحضارة الإنسانية مجموعاً متداخلا من الإنتاج الحضاري للقوميات المختلفة ، كما أن غاية المجتمع تحقيق إنسانية الفرد بما لا يتعارض ومصلحة المجموع والتعبير العملي عن تحقيق هذه الإنسانية لا يتم إلا باتاحة الفرص لتحقيق وبث أحسن ما في هذا الفرد من إمكانيات .

ومن هنا يتضح بأن الاتجاه الحديث للقومية العربية ذو محتوى اشتراكي إنساني بنفس الوقت ، وفي هذين المحتويين الضمانة الكافية لعدم ظهور أي من مضاعفات سلبية للقومية العربية . إلى جانب أنه ليس هناك ظروف دولية أو موضوعية في الوقت الحاضر لنزوع الشعب العربي نزعة غير إنسانية ، بل على العكس فان طبيعة القضايا العربية المعلقة وعلاقتها بالاستعمار إلى جانب تفتح الشعب العربي لآفاق جديدة على الصعيد الدولي تجعله مدفوعاً بالسليقة لأن يثبت دعائم القومية العربية على أساس احترام إرادة الشعوب والتعاون معها لإيجاد مجتمع إنساني أكثر استقراراً وطمأنينة .

وهذا المنطق للقومية العربية في اتجاهها الحديث ينفي ما يمكن أن يقال من أن الدعوة إلى قيام حضارة عربية جديدة تعني الدعوة إلى العنصرية أو فرض سلطان هذه الحضارة على سائر العالم ، كما أنها لا تتنافى مع سيرنا نحو عصر الحضارة العالمية الواحدة .

فقيام حضارة عربية جديدة يعني بالدرجة الأولى تهيئة المجتمع العربي بما فيه الشعب العربي للخلق والإبداع ليستطيع أن يكون مساهماً فعالا في خلق حضارة إنسانية قادرة على التفاعل معها يعطيها أحسن ما عنده ويأخذ منها بقدر حاجته لا أن يبقى عالة يأخذ فقط ولا يعطي .

وبمعنى آخر أن قيام حضارة عربية يعني تحقيق الشخصية العربية وإيقاظ الوجدان العربي ، ولا يمكن أن تفسر كلمة حضارة بأنها تعني الانفصال عن العالم وتجميد الأوضاع على أساس طبقي فيه سيد ومسود ، إلا إذا كنا قد قررنا سلفاً بأنها تعني التأخر والعودة الى المجتمع الاستغلالي الرجعي ، وهذه مغالطة .

وبالتالي مصلحتنا كاملة لها قضايا سياسية واجتماعية معلقة ، الى جانب ان لها وجداناً يربط مصلحتها بمصالح الامم الأخرى ، يحتم علينا ان ندعو لقيام

(*) رد على ماكتبه الأستاذ احمد بهاء الدين في مجلة « صباح الخير » حول موضوع القومية .

حضارة عربية جديدة ذات محتوى اشتراكي انساني . وهذا هو تماماً الأتجاه الحديث للقومية العربية الذي لن يكون في يوم من الأيام دعوة الى العنصرية او عودة الى الرجعية بل انه ضرورة حتمية ودعوة الى الانعتاق والسلم .

كلية الهندسة بجامعة القاهرة **يوسف النمري**

حول أسطورة (المروحة)

إلى الأستاذ هنري صعب الخوري

بقلم ابو القاسم سعدالله

نحن ، أبناء المغرب العربي – لا سيما في هذه الفترة – لا نحفل كثيراً بالأجواء الشعرية المنسرحة ، ولا بالتسابيح والأخيلة المتواثبة على غير هدى(١). والعلة تعود إلى شيء صميم عميق في نفوسنا ، ونحسب أن كل العرب يعيشونه بنفس الصميمية والعمق اللذين نعيشها . فأولا ، ان ذلك الشعر الطائر ، لا يمكنه أن يشحن أكياسنا بالرصاص ، ولا أن يقف في طابور الكتيبة المهاجمة . وثانياً ، انه ليس شعبياً : ينبع من روح الشعب ، وينطق بلسانه ، ويصور حياته ، بكل وفاء ودقة ووضوح . وثالثاً ، انه – لبعده عن الواقع الشعبي – لا يعبر بل يصف ، ولا يهبط بل يطير . والفرق بين هذه المعاني وأضدادها ، كالفرق بين من يخوض المعركة ، وبين من يقف متفرجاً ، وعيناه إلى السماء : !

ان أكثر الشعراء الغربيين – ومنهم (اليوت) نفسه – يعبرون عن ترف حضارة غامر ، قد فاضت به صالونات العواصم الكبرى ، وهذبه الذوق الناعم ، والحس الخليع . فأية نسبة بين مستقى أفكارهم ، ومستقى أفكارنا ؟ إننا نكتب حياتنا بدمائنا ودموعنا وعرقنا ، وهم يكتبون حياتهم بماء الفيشي وعصير (البوم) ومحلول الورد الأخضر .. ! ودعك من (الإنسانية) يا أخي ، فهي كلمة خداعة جداً .. لا سيما في هذه الأيام ! .

ولذلك فنحن نحب نزار قباني حد الإعجاب ، ومحمد العيد والشابي وسليمان العيسى وغيرهم ممن عرفوا الطريق إلى قلب الشعب ، أكثر مما نحب السياب ونازك الملائكة وصلاح عبد الصبور – مع احترامي للجميع – .

والشعب أصلا هو مصدر التقييم لأي لون شعري في كل عصر . ولذلك فالشعب العربي عندما يقرأ للشاعر الجزائري محمد العيد :

بلادك في الدنيا تلادك فارعهـــا وحاذر على أكنافها أن تروعا
وأرضك في الأوطان أمك فأحبها بر ففي أخلافها عشت مرضعا
حياتك حرب للضعيف فكن بهـــا قوياً أبياً أن تذل وتخضعـــا

أو يقرأ له عن فلسطين :

قل لابن صهيون : اغتررت فلا تجر ان ابن يعرب ناهض للثـــار
أعرضت عن خطط السلام موليـــا فوقعت فيها في خطوط النـــار
سترى أمانيك التي شيدتهـــا منهارة مع ركنك المنهـــار
لا تحسبن يافا صبحك طالـــع فالبدر – ويحك – خادع للسار
القدس لابن القدس لا لمشرد متصهيـــن ومهـــاجر غـــدار

لو قرأ الشعب العربي هذا الشعر ومثله (لمحمد العيد) ، لكان له من الوقع ، بل والإيجابية ، ما لم يكن لعشرات القصائد التي تحفل بها مجلاتنا الوطنية . !

وقد تسأل عن علاقة هذا بموضوعنا . ولكني أبادر فأجيبك : بأني من الداعين المتحمسين إلى شعبية الشعر – إن صح التعبير – . فكما لدينا شعر (جميل) يفوح بالعطر والياسمين ، وينبض بالحنان والحب ، ويحلم بالحور والنور – كذلك يجب أن يكون عندنا – نحن العرب – شعر (قبيح) يتنزى دماً وقيحاً وينفث سماً وبارودا ، ويقطر ألماً وحقداً ! .

ولست أدري لماذا تنزل القصة إلى الشعب ، ويتواضع الأدب ، بشتى فنونه ، للذوق العام ، في الوقت الذي يبحث فيه الشعر – العربي طبعاً – عن الكنايات المعمقة ، والحشرجات الموسيقية ، والأخيلة المجنحة ؟ ! .

لعلك تذكر حديث النقاد ، في نفس هذه المجلة ٢ ، عن وظيفة الأدب ، ومنه الشعر – حين أثيرت مشكلة الالتزام في الأدب ، وحددت سمات هذا الأدب ومداه وفاعليته وهدفه . ولكن ذلك الحديث الطويل (القيم) ذاب كما تذوب معاني خطبة سياسية مشتعلة ألقاها زعيم في حشد شعبي جاهل ! وبقي الشعراء يطلون من كوى تختلف عمقاً وحجماً ، فمنهم من يكتفي (بتخويص) عينه – عينه الواحدة – كما يفعل المصور تماماً ، ومنهم من يبدي عينيه ومعقد حاجبيه ويخفي أنفه خشية الأروحة المخنقة ، وفمه حذار أسراب الذباب المتكثرة في جو العالم العربي . والشجاع البطل منهم هو الذي استطاع أن يبرز رأسه من الكوة ، ولكن بعد أن وضع عليها قبعة كثيفة مستعارة : قبعة (اليوت) أو (شيلي) أو (لوركا) ...

لقد جربت الشعب يا أخي .. جربته وهو يئن تحت سياط (أسياده الفرنسيين) ثم هو يحثو الرصاص في صدور (أعدائه الفرنسيين) .. جربته في (الأطياف – والطريق – والجمال الحالم – والاحتراق – وأنشودة الحقول – واليأس) ٣ ...

ولكن تجربتي معه في (الطين) حين قلت للثائر ، كل ثائر في أوراس وجرجرة وكل الأطلس :

يا أخي الضارب في دنيا الكفاح أيهـا الساخر من عصف الريـاح
إنك اليـوم رسول للفـلاح • فخـذ الحق اغتصاباً واكتسـاح
أيهـا الرابض في تللـك البطـاح ....

تجربتي هذه المرة معه كانت عظيمة لم أر مثلها ولا يمكن أن أرى مثلها في مستقبل الأيام . وحتى الحكومة الفرنسية نفسها قد جن جنونها ، فأسرعت إلى (البصائر) ٤ – التي نشرت القصيدة – وحطمت أجهزتها ، وشمعت مطبعتها ، وأصدرت أمراً بغلقها إلى الأبد .. لماذا ؟ لأن الجريدة تحدت إرادتها العلية بنشر هذا الشعر وغيره ! .

ولا أريد أن أطيل عليك ، فأنا – كما قلت – من رأيي ، أن ينزل الشعر إلى المستوى الشعبي كما نزلت كل فنون الأدب . وقد بدأت تمنح الجمهور أكلها ، لا سيما القصة . والحق أن هذه المسألة – الأدب للشعب – لم تصر واضحة المعالم بعد . بل ما تزال مكتنفة بالغموض ، شأنها في ذلك شأن كل فكرة جديدة .

وأعود بك إلى أسطورة (المروحة) ٥ .. هذه الأسطورة التي تحكي قصة الحمل والذئب كما يقول الأستاذ سامي الدروبي . لقد نظمتها على الأسلوب الذي اخترته لنفسي وانتهيت إليه بعد تجربة طويلة ومريرة . وهو نفس الأسلوب الذي استخدمته في (ثائر وحب٦) وفي (الطين) وفي (إلى الأطلس) إن قدرلها

(١) هذه النقطة موضحة في بحث عن (الأدب والثورة في الجزائر) سيظهر قريباً .

(٢) (الآداب) السنة الأولى والثانية .

(٣) عناوين لقصائد نشر بعضها في (الأسبوع) التونسية ، وبعضها في (البصائر) الجزائرية .

(٤) ع ٣٦١ – س ٩ – ١٩٥٦ .

(٥) الآداب (٥ – ٥ – ٥٦) .

(٦) نفس المصدر ٣ – ٣ – ٥٦ .

أن تراك وتراها .

وهذا الأسلوب يقوم على : ١ – الاندفاع والحيوية . ٢ – النغم الموسيقي . ٣ – استعمال الألوان المضبة . ٤ – الإثارة عن طريق الطبيعة النفسية .

وهي ركائز تحافظ على (الأصل) الشعري ، في الوقت الذي تتعمق الناحية الإنسانية : من عاطفة ، ووجدان ، وإرادة ، وحواس .

لقد قلت في تعليقك على (المروحة) « أعترف للشاعر بأني قرأتها مراراً ، وفي كل مرة كنت أخرج منها ومحصولي الشعري لا يزيد على بعض لمع متناثرات »

إنني لا أندهش حين أجد كلمة « مراراً » تمهد لضآلة محصولك الشعري من القصيدة . كذلك لا أندهش أن تعاني كل هذه « المرار » بحثاً على محصول شعري تخرج به وفي يدك دليل الجهد والعناء .. ولكن الذي أدهشني حقاً هو « تعليلك » لذلك الفراغ وتلك الضآلة . حيث تقول : « والعلة في ذلك تعود إلى : « أن القران اللفظي » أو « البناء » على طريقة الشعر الحر لم يستكمل عدته بعد ... »

إنني أوافقك على أن محصولك الشعري سيكون ضئيلا ، وضئيلا جداً ، ما دمت تعتمد في البحث عنه « القران اللفظي » أو « البناء » من القصيدة ! ويلذلي أن أسألك : هل كل ما نطلبه من الشعر – ليكون لدينا محصول شعري ضخم – هو أن يستكمل عدته من « القران اللفظي » ؟ ! ثم ما هو هذا القران اللفظي الذي تعنيه . لقد كان يجب أن تبرهن على ما تقول !

انك نفسك غير مطمئن للسبب الذي سقته .. انك شاك ومتردد في أن يكون هو « القران اللفظي » أو « البناء » . وإلا ، فما معنى هذه « الأو » إذن ؟ !

وأنا لا يسعني كثيراً أن أتهمك بأنك لم تقرأ القصيدة « مراراً » أو « مرة » . ولكن الذي يهمني قولك بعد ذلك مباشرة : « فجاءت الصور باهتة في أماكن ومشرقة نوعاً في أماكن أخرى » والقارىء البسيط يدرك معنى « الفاء » من فجاءت ، ويحكم لأول وهلة ، من هذا التسلسل الشكلي ، والترتيب السببي للجمل – انك لا تطلب إلا اللباس الممشوق للقصيدة .. وأنت – شخصياً – حر في وجهة نظرك هذه ، إلا أنك – كناقد – يجب أن لا تهمل الناحية النفسية والزمنية ، بل والإيجابية للقصيدة .

ثم قلت : : « خذ القسم الأولى ، ثم خذ : هذا القسم الذي « خرج » فيه الشاعر عن الوزن وكسر رقبته .. » والذي يظهر لي أنك تلقي ألفاظك غير « موزونة » فأنا لم أخرج عن الوزن . وغاية ما ارتكبته هو (قصر) بعض التفعيلات من الرمل . و (القصر) ليس خروجاً عن الوزن ، ولكنه (علة نقص) . ولست أناقشك في جواز هذا « القصر) أو عدم جوازه ما دمت أنت قد تفطنت إليه : ولكن لا أسلم إليك أنه (قبيح) لأن هذا التقبيح منك (خوري) صرف .

وأن القارىء ليعجب ، إذ تأمره بأن يأخذ القسم الأول ... الخ . حتى إذا امتثل (للأمر) وأخذ ، لم يجد من دليل على ظلام بعض الصور ، وإشراق الآخر سوى حديثك عن (النون) المكسورة وكيفية علاجها ...

والحق اني أجد نفسي مضطراً لسؤالك : هل كل ما نطلبه من الناقد الشعري ، أن يعالج الأوزان ويفحص القران اللفظي للنصوص الشعرية ؟ وهل كل ما نطلبه من الشاعر أن يجيء إلباس شعره دمقساً وحريراً ، ونرجساً وإقاحاً ، حتى تكون صوره على غاية من الرشاقة والإشراق ؟ !

انني ، يا أخي – كعربي جزائري يعيش بعمق قضية وطنه – أنظم الشعر ليكون تحية لثائر ، أو وصفاً لموقعة ، أو استلهاماً لنكبة أو أسطورة ، أو تمجيداً لبطل رفع راية الكفاح العربي الدامي على قمم الأطلس الشامخة .

وبالتالي ، أنظم الشعر ليكون رصاصاً يخترق صدر العدو ، لا لوحة فنية في دار الآثار .. !

أبو القاسم عبدالله

جان فال ونظرته الفلسفية

بقلم مجاهد ع. مجاهد

أحب – بادئ الأمر – أن اوجه شكري إلى الأستاذين الكريمين : الدكتور محمد مندور ، والأستاذ سامي الدروبي ، فقد دفعتني كلمتاهما في عدد «الآداب» الماضي لكتابة هذه الكلمة توضيحاً للنقاط الأساسية التي كان يهدف إليها جان قال في مقاله « العلم والفلسفة والعالم المحسوس »

وقبل أن أقوم بهذه المهمة ، أرجو أن يسمحا لي بشيء من تعليق حول « انتقادهما » لي .. ومعذرة :

١ – تمنى الأستاذ سامي الدروبي أن تكون ترجمتي لمقال جان قال عن الفرنسية رأساً ؛ لاعن ترجمة انجليزية ، وأحب أن أقرر له أن جان قال كتب كتابه « طريق الفيلسوف » The Philosopher's Way باللغة الانجليزية لا الفرنسية .. إن جان قال من مقاطعة الألزاس بفرنسا ، وهو يجيد الألمانية ، والفرنسية والانجليزية ، وقد كتب كتابه السالف الذكر بهذه اللغة الأخيرة ، ولقد ذكرت اسم الناشر ليرجع إليه .

٢ – من هذا يتبين لنا أن الأستاذ الدروبي لم يطلع على نص المقال ، وإلا لكان أدرك أن نصه بالانجليزية لا الفرنسية ، فاذا ذكر بعد هذا أنني ترجمت كلمة function (بوظيفة) يلاحظ تطابق أحرف الكلمة الفرنسية بالانجليزية . فقد استنتج أن كلمة وظيفة لابد وأن يكون أصلها كلمة function وقد أصاب ولكن للأسف ، بطريقة الصدفة لا بطريقة الفحص ... الا انه يعترض على ترجمتي لها بكلمة وظيفة فانها في مجال العلم تترجم بالتتابع ، مستخدماً لغة الرياضة .. وأحب أن اقول للأستاذ الدروبي أن ليست هناك « مسبقات » في الترجمة ، وانما أترجم حسب السياق الذي أمامي ، وفهمي لروح المؤلف والخطاطية العامة لمنحى تفكيره .. وقد تبين لي أنه يعنى كلمة وظيفة ... فبعد اكتشاف أينشتين للبعد الرابع للأشياء النسبية ، ألا وهو البعد الزماني ، فقد فقدت الأشياء صلابتها وضرورتها ، ومن ثم فقد سقط عنها طابع العلية ، وحلت محلها صفة العلاقة لأنها أقرب الى النسبية .. هذه العلاقة موظفة من أجل شيء .. من أجل غاية .. فهي إذن ذات غاية وظيفية غائية ايضاً كالعلية تماماً : إلا انها غائية احتمالية نسبية ، لا غائية يقينية مطلقة كما هو في السببية .. فإذا كانت النار تحرق القطن ، فقد تصور القدماء هذا على أن النار « علة » حرق القطن ، أما في الفيزيقا الحديثة ، فقد ذكرت أن هناك علاقة بين النار وبين القطن ، وان هذه العلاقة موظفة لها غاية هي الإحراق : فكأن بين الأشياء اذن هذه العلاقة الوظيفية .. فلا عجب إذن أن ترجمت كلمة function في هذا المجال بكلمة « وظيفة » .

٣ – ثم لا يكفي مثل واحد على سقم الترجمة ، لنحكم أن الترجمة جميعاً سقيمة وندخل الظن أن « المترجم قد لايكون متمكناً كل التمكن من الموضوع الذي عقد له هذا الفصل » ، وانما يتم الحكم النهائي بعد الموازنة بين ما ترجم بصواب وما ترجم خطأ .

٤ – أشكر الدكتور مندور خاصة على توجيه نظري لكتابة كلمة عن الكاتب ومكانته الفلسفية والخطوط الرئيسية لفلسفته ، وأعده في المستقبل بمثل هذا ، وإنما سأكتفي في ختام هذه الكلمة بتبيان الأفكار الرئيسية لمقال جان قال عن « العلم والفلسفة والعالم المحسوس » ... وأود أن اذكر له أن بعض الأصدقاء قد وجه نظري إلى مثل ما وجه نظري اليه .. ولكن دفاعي كان في ان المقال سيدفع القارئ إلى بذل مجهود كبير لكي يستوعبه فيجعله يحيل نفسه إلى كتب ومواضيع أخرى حتى يتيسر له استيعاب المقال جميعه ، ولعلي كنت متمثلا نفسي في هذا الموقف .. ومعذرة إذا كنت لا اوافق على طريقة « القارئ الكسول » في القراءة ..

٥– ذكر الدكتور مندور أن الترجمة سقيمة معقدة غير مهضومة ولامفهومة وأن بها عقماً وغموضاً وهلهلة .. كنت أرجو – كي أستفيد من نقد الدكتور الكريم – وحتى يقوى ساعدي في الترجمة أن يرشدني إلى بعض الجمل المتعينة المترجمة والتي سقمت ترجمتها حتى أستطيع أن التقي معه .. وأود ان اقول للدكتور الكريم أني قد وجدت – بعد نشر المقال – وبعد القيام بنقد ذاتي لترجمتي – وجدت ان هناك جملا كان يمكن أن تترجم خيراً مما قدمت .. وإن كنت ألوم الدكتور مندور في شيء فني أنه – على ما يخيل إلي – قد قرأ المقال الفلسفي بنفس الطريقة التي يقرأ بها أي مقال أدبي . . فمقال فلسفي أو علمي يحتاج الى جهد خاص يبذل عند قراءته .

٦– أعترف الدكتور مندور بأني لم أسر على خطة واحدة في ترجمة « بعض» المصطلحات ، وكنت اقصد إلى هذا قصداً .. فمثلا كلمة trenscendence كان أمامي أن أترجمها بواحد من : البرانية ، الخارجية ، العيانية ، ولكن كلا من الألفاظ العربية لم أكن راضياً عنه كل الرضى على أنه يقابل اللفظ الأجنبي.. ولهذا ترجمتها مرة بالخارجية ومرة بالبرانية لشعوري بهذا القلق .. وكذلك حتى يتولد في القارئ شعور بعدم التقبل الأعمى لترجمة المصطلحات .. ولأننا نحاول جاهدين أن نطوع لغتنا العربية تلك التي تحجرت واتخذت الفاظها طابعاً استاتيكياً لا دينامياً .

٧– اتفق الأستاذان الكريمان في أن مقال جان ڤال مقال اختصاصي موجه إلى فئة مختصة ، وأن « الآداب » – وهي مجلة العامة – ليس مجالها مثل هذا المقال .. وأود ان اقول بأن جان ڤال (وقد تابعه تلامذته من بعد ؛ سارتر – بوفوار – ميرلوبونتي) يريد أن يعيش الفلسفة في وجدانات الناس ويخرج بها للناس العاديين ، وأن الفلسفة ليست صرحا ضخماً يحاول الناس أن يعيشوه ، فإذا اكتشفوا صعوبة الولوج إليه تنحوا عنه وسكنوا الكوخ الحقير الذي بجواره (ذكر كيركجورد مثل هذا المثل عن فلسفة هيجل) وإنما هو يريد أن تكون الفلسفة فلسفة حياة ، فلسفة إعاشة ، جماهيرية ، تعمق تجاربهم لتجعلهم يتخطون وضعهم كشيء في ذاته من اجل حريتهم ، وقد كان هذا أحد الأسباب التي دفعتني لترجمة مقال لجان ڤال .. فالفلسفة ليست وقفاً على أناس ، وموجهة من أجل أفراد معينين .. فاذا كان هذا هكذا وقد ارسلت به إلى « الآداب » فذلك لأنها مجلة تعلن فوق كل عدد من أعدادها أنها « مجلة شهرية تعنى بشئون الفكر » وحتى هذه اللحظة لا أعلم أنها غيرت شعارها .. كما أن في المقال نقطاً رئيسية هامة تهم كل مثقف بصفة عامة ، والمثقف العربي بصفة خاصة ، ونحن نمر بهذه المرحلة التاريخية الحرجة وسوف ابين هذا بعد قليل .

٨– أعتذر للدكتور مندور إن كنت قد سببت له – بعد قراءة المقال – شيئاً من الإساءة . . وهو يوجه اللوم للاداب ، إبهاظها بالصفحات من أجل مثل هذه المقالات .. ولكن ربما غير الأستاذ رأيه بعد أن ابين له غرضاً من أغراض جان ڤال في مقاله ، من ان البحث الفلسفي مهم جداً في توعية القارئ لكي يتكون له جدار ضخم يستند إليه في مجالات الفكر الأخرى ، وأن فكرنا العربي محتاج الى توعية فلسفية وعلمية (يلاحظ أن « الآداب » قد نشرت بنفس العدد السابق مقالا آخر فلسفياً علمياً هو « النظرية والتجربة » .. ويلاحظ أن قلم تحرير المجلة هو الذي دفع به إلى العدد ، مما يدل على اهتمام هيئة تحرير المجلة ومعرفتها لخطر وأهمية الموضوعات الفلسفية والعلمية .)

« العلم والفلسفة والعالم المحسوس »

١– تتهم الوجودية بأنها فلسفة فردية ، تنكر وجود العالم الخارجي ، ولكن التجربة الحية البسيطة تكشف عن أن الإنسان مغمور وسط هذا العالم وأنه « مقذوف به » فيه ، وأن عندنا حساً حيوانياً به ، ونكتشف وجود «هذا الحقيقة التي تكلم عنها سانتايانا من أن حس الوجود مغروس في الأشياء ، والذي هو في نفس الوقت معرفة بالأشياء» (١) وعلى هذا يترتب أن المعرفة «كمقاسمة في الاتحاد مع العالم حقيقة وأن الإنسان يتميز بهذه المقاسمة الخالصة للاتحاد » .

إذن فالإنسان هو نقطة التقاء الذات بهذا العالم الخارجي ، وعلى هذا تكون المثالية المتطرفة مخطئة والواقعية المتطرفة مخطئة « ويمكننا بالاحرى أن نقول – كما قال نوفالس نفسه – أن المثالية المتطرفة والواقعية المتطرفة متحدتان . »

٢– يترتب على هذا أن جان ڤال في نظرته لاينكر التجريبية ولا ينكر المثالية ، ولكنه يأخذ بالالتقاء .. وأن التجريبية تكون حقاً إذا « قامت التجريبية في جزء منها على الملاحظة الباطنية » وعلى هذا تستحيل مفاهيم العلاقات إلى نظريات وجودية معاشة « فيشعر فيها بالزمان كتوقع وتوقان وخوف واسى وندامة . »

٣– يذكر لنا أن الفيزقا الحديثة ، قد تأدت بنا أكثر لقبول مبدأ الداخلية Internolity للأشياء فهي تكشف عن مبدأ استقلال الحدود بين الأشياء ولكنها تكشف في الوقت نفسه عن تداخل العلاقة interconnection لكل حد من العالم بكل حد آخر ، وعلى هذا «تؤكد الواقعية قصدية intentionality ما في نفوسنا ، موجهة نفسها تجاه الأشياء ومؤكدة أحياناً هوية identity الأشياء وما في نفوسنا . »

٤– فإذا أكدت الوجودية قيمة الوعي في المعرفة فعلى أنه لاوعي في ذاته ، ولكن على أنه وعي ذو علاقة ... علاقة بالعالم الخارجي ، .. فنحن اذن ، ومعرفتنا إذن هي هذه المقاسمة ، المقاسمة مع عالم براني .

٥– من هنا قد تبين لنا أن هناك شيئاً قبل عالم المشكلات ، وقبل البحث .. ألا وهو الحس الحيواني المغروس في النفس بوجود العالم الخارجي ، والذي تكون خلال التجربة البسيطة الحية للإنسان المغمر في الأشياء .. فعلى العلم إذن أن يتبين حدوده .. إنه يمكن أن يكون هذه المعرفة الموضعية التي يصبو إليها ،

(١) الجمل التي بين الأقواس من نصوص جان ڤال في مقاله من ترجمتنا بالعدد الماضي من « الآداب » .

جائزة ١٠٠ ليرة ل.

للفائز باجمل اسم لسلسلة كتب مدرسية

تنشر قريباً « المكتبة العلمية » في بيروت سلسلة كتب قراءة عربية جديدة مؤلفة من ٧ اجزاء ، تطبع بالألوان ، لرياض الأطفال والصفوف الإبتدائية وهي موضوعة على احدث النظريات التربوية. وقد مارس مؤلفوهـا مهنة التدريس ما يزيد عن ٢٠ عاماً . وتعلن « المكتبة العلمية » انها خصصت جائزة مالية قدرها ١٠٠ ليرة لبنانية للفائز باجمل اسم يرد الى لجنة التحكيم المؤلفة من كبار الاساتذة قبل ١٥ آب القادم ١٩٥٦

باب الاشتراك بالمسابقة مفتوح للجميع

ترسل الأجوبه الى «المكتبة العلمية» ببيروت ص.ب.٨٤١

ولكنها معرفة مرتبطة بالذات التي تريد أن تعرف ، ومن ثم فعندما يصوغ العلم قوانينه ينسى أن يدخل هذه القوانين البوتقة الذاتية والتجربة الإنسانية . وبهذا يكسبنا العلم ركيزة لا إنسانية non - human ومن ثم على العلم أن يتبين أنه لايمكن أن يتعدى حدوداً معينة وأنه عبارة عن ... لنذكر أولا مثالا حتى يتبين لنا الأمر : مثلا هناك لون أحمر في العالم الخارجي .. فينتقل إلى هذا الشيء الخارجي على أنه إحساس بلون احمر .. إذن هو انتقل إلى كخبرة سيكولوجية ويأتي العلم فيخبرني أن هذا اللون عبارة عن موجات ذات طول معين .. فهناك إذن ثلاث مستويات : مستوى الحقيقة —مستوى الشيء—، وهناك مستواي — مستوى الخبرة السيكولوجية . وهناك مستوى الموضوعية — مستوى العلم — .. وبهذا يكشف لنا العلم عن البناء الفوقي superstructure لما هو حقيقي ، يكشف عن الحقيقة المتعالية التي لا تدخل تجربتي الحية البسيطة .

٦— عندما ينقد العلم نفسه يكتشف أن هناك شيئاً يتفلت من بين يديه ، يتفلت من التحددية التامة التي يريد أن يطوق بها الأشياء .. هو يريد أن يجعل كل شيء ينضبط انضباطاً أقصى ، ولكنا نجد أنه « عندما ينقد الفلاسفة اليوم العلم فإن هذا النقد ليس بالضرورة تعبيراً عن تفضيلهم للاعقلانية irrationality إنه اساساً إخلاص للروح الخالصة للعلم التي تهدف في الانضباط الأقصى إلى أن تعرف في نفس الوقت أن بعض النقاط ، وهي الانضباط الأقصى ، لايمكن الحصول عليها »

٧— مهمة الفلسفة إذن أن تقوم بعملية « الفرملة » أو توقف العلم عند حدوده .. أن تبين له أين موقفه وما هي قيمته ، فهي إذن النقد الذي يكشف للعلم اعماقه ...

٨— الفلسفة مرتبطة بالعلم منذ القديم .. فإما أن العلم كان يسترشد بمبادئ فلسفية سابقة وإما أن العلم كان يساعد في الاسهام بمبادئ فلسفية معينة .. إلى أن أصبحت الفلسفة فلسفة « وضعيات » positions تكشف الموقف سواء كان هذا بالنسبة للفرد ، أو للجماعة ، بالنسبة للعلم ، والعالم .

٩— إذن على العلم أن يعلم أن سيظل هناك شيء يتفلت منه ، ويند عنه ... إذن فعلينا « أن نحلل أنفسنا وراء الواقعية والمثالية وربما تحتها ، ونعيش منكرين كل المذاهب isms التي هي فحسب وجهات نظر لشيء لا يقبل أن يكون وجهة نظر .» *

* * *

من هذا يتبين أني عندما ترجمت مقال جان ڤال ، كان هذا لتوعية القارئ ، والقارئ العربي بصفة خاصة ، بأن العلم ، وإن كانت قضاياه حقيقية إلا أن بيننا وبينه مسافة ، مسافة الغاء ذواتنا وبكارتنا وارتعاشتنا الوجودية ، وإنما نحن لابد أن نطمع — بجانبه — في الفلسفة ، التي تبصر إنسان الروح ، بوصفه ومكانته ، وأن الحقيقة إنما تنبع منه ، دفعة واحدة ، بمجرد ارتمائه في العالم.

ولكن المشكلة في مقال جان ڤال ، أن صاحبه لا يلجأ إلى الطريقة المباشرة فيذكر ما يريد قوله جملة ودفعة واحدة ، وانما هو يعلمنا درساً آخر جديداً في المنهج .. وأننا يجب في بحثنا أن نلجأ إلى الحس الديالكتيكي التاريخي النقدي .. لكي يتكشف لنا الأمر :

منهجاً جديداً ، وموضوعاً منظوراً إليه من وجهة جديدة ، أردت أن أوصلها إلى القارئ ، فهل وفقت ؟ !

القاهرة — مجاهد عبد المنعم مجاهد

* يلاحظ هنا أني غيرت قليلا من هذه الفقرة عن ترجمتي السابقة بالمقال فقد كانت هكذا : « أن نحلل أنفسنا وراء وربما تحت الواقعية والمثالية ، ونعيش منكرين كل المذاهب التي هي فحسب وجهات نظر لشيء لايمكن أن يكون وجهة نظر » (هذه إحدى الجمل التي قمت فيها بنقد ذاتي لترجمتي)

في المكتبات

جناح النساء

تأليف

بيرل باك

ترجمة

سميرة عزام

خفايا حياة جناح النساء في كل بيت . رابحة جائزة نوبل تسرد قصة المرأة في الصين باسلوبها الممتع وتحليلها العميق .

القصة التي يجب ان يقرأها كل انسان مثقف

من كتب

المؤسسة الاهلية

للطباعة والنشر — بيروت